مشكلة تعرض بعض الأطفال فى المدارس للحوادث

(الأسباب.. والحلـــــــــول)

أ. د. جمال شفيق أحمد

كانت وماتزال المدرسة بصفة عامة المؤسسة الاجتماعية والتربوية والتعليمية التى تسهم وتشارك فى تربية وتنمية الأطفال جسميًا ونفسيًا وعقليًا واجتماعيًا وثقافيًا وأخلاقيًا، حيث يعد الهدف الأساسى من الجوانب المختلفة للرعاية الشاملة المتكاملة هو مساعدتهم على الحياة الطبيعية المنتجة وتمكينهم وإعدادهم لتحملهم مسئولياتهم الخاصة، أى أن الهدف الأساسى للمدرسة هنا من الرعاية يتبلور فى إعداد الأطفال للمواطنة الكاملة الفعالة والمشاركة فى النظام الاجتماعى السائد حولهم.

وليس من شك فى إن مدى استفادة الأطفال من خبرة التحاقهم بالمدرسة تتوقف بدرجة كبيرة على شخصية وخبرة وكفاءة المعلمين ومدى قدرتهم على فهم أسس النمو فى مرحلة الطفولة ومتطلباته وكيفيه إشباع حاجات الأطفال بما يناسب طبيعة مرحلتهم النمائية، ذلك أن وظيفة المعلم هامة وخطيرة نظرًا لما تمثله من دور حيوى فى بناء وتشكيل شخصية الأطفال، بل وبناء لغتهم وتفكيرهم واتجاهاتهم وسلوكهم وذكائهم وعقولهم، بل والأهم وضع الأساس السليم لشخصياتهم وإعدادهم للمستقبل بكل ما يحمله لهم من صعاب وتحديات حتى يستطيعوا اكتساب المهارات الحياتية والمشاركة الإيجابية والتنافس والنجاح والتفوق والإبداع والنماء.

ولقد اهتم المشرع المصرى بكل ما يخص الطفولة فى مصر، فكان إصدار قانون الطفل المصرى رقم (١٢) لعام (١٩٩٦) المعدل بالقانون (١٢٦) لعام (٢٠٠٨)، حيث نصت :

مادة (١) : تكفل الدولة حماية الطفولة والأمومة وترعى الأطفال وتعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحيحة من كافة النواحى فى إطار من الحرية والكرامة والإنسانية.

ومادة (٢) : يكفل هذا القانون على وجه الخصوص حماية الاطفال من كافة أشكال العنف او الضرر أو الإساءة البدنية أو المعنوية أو الجنسية أو الإهمال أو التقصير أو غير ذلك من أشكال إساءة المعاملة.

كما نصت المادة (٩٦) : يعد الطفل معرضًا للخطر إذا وجد فى حالة تهدد سلامة التنشئة الواجب توفرها له وذلك إذا تعرض أمنه أو أخلاقة أو صحته أو حياته للخطر، وإذا كانت ظروف تربيته فى الأسرة أو المدرسة أو مؤسسات الرعاية أو غيرها من شأنها أن تعرضه للخطر أو كان معرضًا للإهمال أو للإساءة أو للعنف أو الاستغلال أو التشرد.

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام : أنه ومنذ بداية العام الدراسى الجديد لا يكاد يمر يوم من الأيام إلا وتطالعنا الصحف والمواقع الإليكترونية بخبر وقوع حوادث متكررة ومختلفة لبعض أطفالنا فى المدارس.

وبطبيعة الحال فإن الآباء والأمهات حين يرسلون أطفالهم إلى المدارس فى الصباح يكون على أساس أن المدرسة بيئة تربوية وتعليمية آمنة ترعى الأطفال وتهتم بهم وتحافظ عليهم طوال اليوم الدراسى، حتى يعودون إلى منازلهم فى نهاية اليوم الدراسى بكل صحة وسلامة وأمان.

لكن... للأسف وعلى العكس من المألوف أو المتوقع، ونتيجة تعرض بعض الأطفال فى المدارس للحوادث الخطيرة، يرجعون إلى منازلهم إما مصابين أو معاقين أو جثث هامدة.

ولقد دفع هذا الوضع المأسوى غير المحتمل وغير المقبول بالأستاذة الدكتورة / عزة العشماوى الأمين العام للمجلس القومى للأمومة والطفولة - أن تعلن يوم الأربعاء الموافق (٢٠١٤/١٠/٢٢) على موقع اليوم السابع الإليكترونى (إن قضية مقتل الأطفال التى تزايدت بشدة فى الفترة الحالية جريمة بشعة يجب ألا تتكرر، مطالبة بأن يكون هناك تحرك سريع من جانب وزارة التربية والتعليم بإعادة تقييم المدارس، خاصة المتواجدة بالمناطق النائية مثل الريف والصعيد).

ولعلنا بدراسة تلك الحوادث وتحليلها وتصنيفها ومعرفة أسبابها ونتائجها لوجدنا بصورة علمية وموضوعية دقيقة أن مثل هذه الحوادث كثيرة ومتنوعة ومختلفة ومتكررة ، إلا أنه يجمعها كلها أشياء معينة ومحددة هى : التسيب والإهمال والتقصير والتراخى واللامبالاة وانعدام الضمير والتفريط فى الأمانة وعدم تحمل المسؤولية.

ويظهر أمامنا فى الأفق قول الله عز وجل من فوق سماواته السبع (بأى ذنب قتلت) تلك النفوس الطاهرة البريئة الذكية، لقد أرسل الآباء والأمهات فلذات أكبادهم إلى المدارس فى الصباح ليدرسوا ويتعلموا ويلعبوا ويمرحوا ويتمتعوا بطفولتهم البريئة، انتظارًا أن يعودوا إلى منازلهم وهم يحملون شهادات النجاح والتفوق، لا أن يحملون مع جثتهم شهادات وفاتهم ودفنهم.

القضية حقيقة صعبة ومريرة ولا يتحملها البشر أو غير البشر خاصة إذا استعرضنا على سبيل المثال لا الحصر بعض من الحوادث التى قطفت أرواح أغلى وأعز ما يملك الإنسان (المال والبنون زينة الحياة الدنيا).

١- فى منتصف اليوم الدراسى بإحدى المدارس سيارة التغذية التى تورد الأغذية للمدرسة تدهس أحد أطفال المدرسة تحت عجلاتها، فيصاب بإصابات بالغة، توفى على أثرها مباشرة.٢

٢- فى بداية اليوم الدراسى بإحدى المدارس وأثناء نظر أحد الأطفال من نافذة الفصل سقط الزجاج المكسور على رقبته مما أدى إلى تهتك شرايين الرقبة وحدوث نزيف حاد، حيث قام المدرسون بمحاولة إسعافه بدورة مياه المدرسة، ومع تدهور الحالة تم التردد على مستشفيتين لم توجد بهما إمكانيات مناسبة ولما ذهب للمستشفى الثالث والتى أخطرت مسبقًا بحالته طلبت ١٠٠٠٠ جنيها - وفى أثناء محاولة توفير المبلغ المطلوب لفظ الطفل المصاب أنفاسه الأخيرة فى غرفة الاستقبال التى ظل بها مدة ساعتين ينزف.

٣- فى بداية اليوم الدراسى بإحدى المدارس، شعر أحد الأطفال بلدغة فى ساقه، وعندما خلع ملابسه سقط منها عقرب أسود كبير، وبعدها أصيب بحالة إعياء شديدة، حيث تم استدعاء الأم فأتت مهرولة وحملته إلى الوحدة الصحية بالقرية، لكنها وجدتها مغلقة، فأسرعت به إلى إحدى الصيدليات الخاصة التى أعطته مصلاً مضادًا، ولكنه توفى بين يديها أثناء حقن المصل.

٤- فى أثناء تدافع الأطفال بإحدى المدارس للخروج إلى فناء المدرسة فى فترة الفسحة، سقطت طفلتان تحت أرجل زملائهن، وكان نتيجة هذا الحادث هو وجود كسور شديدة لدى إحدى الطفلتين، وتوفيت على الفور الطفلة الأخرى.

٥- فى أثناء اليوم الدراسى بإحدى المدارس حاول أحد الأطفال الهروب من سور المدرسة الخلفى، ولكنه أثناء تسلق السور أمسك بسلك كهربائى عن طريق الخطأ، فاختل توازنه، وسقط على رأسه مغشى عليه، ليموت فى المستشفى بعد نقله إليها بساعة.

٦- أثناء اليوم الدراسى بإحدى المدارس، طفل يلعب فى فناء المدرسة الخلفى، ودون أن ينتبه سقط فى بيارة الصرف الصحى المكشوفة الموجودة بوسط الفناء، وبعد الإبلاغ وانتظار وصول قوات الحماية المدنية والإسعاف إلى موقع الحادث، لفظ الطفل أنفاسه وتم انتشال جثته من البيارة.

٧- فى بداية اليوم الدراسى بإحدى المدارس، وأثناء دخول طفلة من البوابة الرئيسة الحديدية، سقطت فوق رأسها، لتحولها فى الحال إلى جثة هامدة بعد أن تهشمت رأسها.

٨ - فى منتصف اليوم الدراسى بإحدى المدارس أربعة أطفال يحملون زميلهم ويرمون به من أعلى السور من الدور الرابع، ليسقط على قاعدة خرسانية فى الأرض ، فتتسبب فى إصابته بكسور متعددة تقعده عن الحركة.

٩- فى منتصف اليوم الدراسى بإحدى المدارس المشتركة – ثلاثة طلاب يتشاجرون مع بعضهم بسبب الخلاف حول معاكسة إحدى الفتيات، وتطور الأمر إلى مشاجرة بالأسلحة البيضاء والأحزمة، انتهت بمقتل أحد الطلاب وإصابة طالب آخر إصابات بالغة، نقل على أثرها إلى المستشفى، وذلك دون أى تدخل من إدارة المدرسة.

١٠- فى أثناء اليوم الدراسى بإحدى المدارس، أصيب معظم أطفال المدرسة بحالة تسمم غذائى، نتيجة تناولهم وجبة غذائية تم توزيعها عليهم بالمدرسة، وتم تحويلهم إلى المستشفى لسرعة إسعافهم من حالة التسمم التى تعرضوا لها.

١١- يضاف إلى ذلك كله تعرض مئات من الأطفال يوميًا فى بعض المدارس للعديد من أصناف وأنواع وإشكال الإهانة وإساءة المعاملة من بعض المعلمين والمعلمات، مثل الإساءات النفسية أو الجسمية أو التربوية أو الانفعالية أو الإهمال، والتى ينتج عنها إيذاء الأطفال وإلحاق الضرر بهم من النواحى النفسية أو الصحية أو الجسمية أو الانفعالية أو التعليمية أو الاجتماعية.

ولعله تظهر هنا أسئلة ملحة ولابد من الإجابة عليها :

لماذا انتهكت حقوق مثل هؤلاء الأطفال الضحايا وإنسانيتهم؟

لماذا تم اغتيال طفولتهم البريئة والاعتداء على كرامتهم؟

لماذا دمرت آمالهم وأحلامهم وطموحاتهم؟

لماذا جرحت نفسياتهم ومشاعرهم هم وأسرهم؟
لماذا تحولوا من أطفال أسوياء إلى أطفال معاقين أو عجزة؟
لماذا تم منحهم شهادات وفاة بدلا من شهادات النجاح أو التفوق؟

وإحقاقا للحق وحتى لا تكون الصورة فى كليتها قاتمة أو كئيبة، نريد أن نؤكد وبكل وضوح وشفافية أنه يوجد بوزارة التربية والتعليم الكثير والكثير من المخلصين الشرفاء الجادين، الذين يبذلون أقصى ما فى وسعهم لأداء واجبهم التربوى والتعليمى المقدس والنبيل، بكل صدق وأمانة وعطاء بلا حدود، والذين ساهموا فى الوقت نفسه فى الإعداد المتميز للآلاف من المتخصصين والخبراء والعلماء فى شتى مجالات العلوم المختلفة.

إلا أنه يتحتم فى الوقت نفسه أن نجد حلولاً علمية على أرض الواقع حتى نتجنب أو على الأقل نساعد قدر الإمكان فى الإقلال من مثل هذه الحوادث المتكررة بالمدارس وذلك على النحو التالى :

أولاً : ضرورة وجود (وحدة لإدارة الأزمات والكوارث) بكل مدرسة

ويشرف عليها مباشرة مدير المرحلة التعليمية ومسئول الأمن بالإدارة ومدير المدرسة. ويمكن تحديد وتوضيح المراحل والأدوار المعينة المطلوبة من وحدة إدارة الأزمات والكوارث بالمدارس كما يلى :

المرحلة الأولى : (قبل وقوع الكارثة أو الأزمة) :

يتبلور هذا الدور فى التعرف والتحديد الدقيق لاهتمامات ودوافع ومشاعر واتجاهات الرأى العام لدى الأطفال. وذلك من خلال ما يلى :

- إعداد وتنفيذ الدراسات الميدانية واستطلاعات الرأى حول الأحداث والمتغيرات الطارئة والإجراءات المتبعة فى شأنها، مع تحليل الاستطلاعات التى يتم رصدها.
- متابعة وتحليل المتغيرات والأحداث والخبرات السابقة وأثرها ونتائجها وردود أفعالها وخسائرها النفسية المتوقعة (نوعًا حجمًا) وكيفية التعامل معها.
- تنمية الإدراك ونشر الوعى بالمخاطر التى قد يتعرض لها الأطفال وذلك من خلال إعداد وإصدار كتيبات خاصة كدليل يتناول أسباب ومظاهر الكوارث أو المواقف الضاغطة، وكيفية معالجتها ووضع مقترحات لخطط توعية تشمل (الأفلام الوثائقية – الملصقات - الندوات) عن كيفية التعرف والتعامل مع الأزمات و الكوارث.

المرحلة الثانية : (إثناء الكارثة وإدارة الأزمة)

١- حصر وتحديد نسبة ونوع وأسباب الخسائر النفسية عن الكارثة (هستيريا بأنواعها – خوف - قلق – توتر – عدم تكيف – اضطرابات عصابية – اضطرابات ذهانية – اضطرابات سيكوسوماتية) لدى الاطفال.
٢- تحليل الحملات الإعلامية (محلية- إقليمية - عالمية) وتحليل العوامل المؤثرة فيها وتحديد أنسب الطرق والأساليب لمواجهة الأزمة أو الكارثة.
٣- الاستمرار فى إجراءات حملات التوعية والتهيئة النفسية للأطفال.
٤- مراقبة ومتابعة الظواهر النفسية والسلوكية التى يتم رصدها بين الأطفال وتقديم خدمات المساندة المناسبة لها.
٥- مساعدة الجهات المعنية المختصة فى مجال الدفاع المدنى فى تنفيذ عمليات الإخلاء وإقناع

الأطفال بالتعاون مع هذه الجهات.
٦- استمرار قياس الاتجاهات والرأى العام لدى الأطفال والعاملين بالمدرسة وإعداد تقارير المتابعة النفسية.

المرحلة الثالثة : (بعد انتهاء الأزمة أو الكارثة)

تنمية الوعى وتعديل الاتجاهات النفسية والاجتماعية وإزالة الآثار النفسية الناتجة عن الكارثة أو الأزمة وذلك من خلال :

١- الاستمرار فى تنفيذ خطة التوعية والإعلام ونشر الوعى ورفع الروح المعنوية بين الأطفال. عقد وتنفيذ برامج إعادة التأهيل النفسى خاصة للأطفال الذين يمثلون أكثر الفئات تعرضًا للخسائر النفسية.

٢- إعداد القياسات والمسوح الميدانية الخاصة بتحديد احتياجات الأطفال الذين تعرضوا لآثار وتداعيات الكارثة والتى تبنى عليها برامج التأهيل.

٣- إعداد وإصدار التقارير والدراسات النفسية عن تقييم وتحليل الكارثة أو الأزمة.

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أنه توجد هناك عدة عوامل وإجراءات مختلفة لازمة للنجاح فى إدارة الأزمة أو الكارثة من أهمها ما يلى :

١- إدراك أهمية وقيمة الوقت، لأن عامل السرعة مطلوب لاستيعاب الأزمة والتفكير فى البدائل واتخاذ القرارات المناسبة والسرعة فى تحريك فريق إدارة الأزمات.
٢- إنشاء قاعدة شاملة ودقيقة من المعلومات والبيانات عن المدرسة والتى تخص كافة أنشطة المدرسة ومبانيها وكافة الأزمات والمخاطر التى قد تتعرض لها.
٣- توافر نظم إنذار مبكر، ويراعى فيها أن تتسم بالكفاءة والقدرة على رصد علامات الخطر وتفسيرها وتوصيل هذه الإشارات إلى متخذى القرار فورًا.
٤- الاستعداد الدائم لمواجهة الأزمات والكوارث والتى تعنى تطوير القدرات العملية لمنع أو مواجهة الأزمات ومراجعة الإجراءات الوقائية ووضع الخطط وتدريب جميع المسئولين بالمدرسة والأطفال على الأدوار المختلفة لهم أثناء مواجهة الأزمات.
٥- كفاءة اتصالات الأزمة، حيث أنها تلعب دورًا بالغ الأهمية فى سرعة وتدفق المعلومات داخل وخارج المدرسة ومواجهة الشائعات وكسب ثقة الأطفال.
٦- حتمية قيام مجالس الأمناء والآباء والمعلمين بالمدارس بدورها الأساسى والجوهرى المنوط بها. وتفعيل مهامها ووظائفها حسبما وردت فى القرار الوزارى رقم (٢٨٩) بشأن تنظيم مجلس الأمناء والآباء والمعلمين، والذى يدعم تحقيق الإدارة والتقويم والمتابعة واتخاذ القرار وتعبئة جهود المجتمع المحلى من أجل توفير الرعاية المتكاملة لكل الطلاب.
٧- ضرورة تفعيل ما جاء بالمادة (٩٧) من قانون الطفل المصرى.

نص المادة (٩٧)

تنشأ بكل محافظة لجنة لحماية الطفولة برئاسة المحافظ وعضوية مديرى مديريات الأمن والمختصين بالشئون الاجتماعية والتعليم والصحة وممثل عن مؤسسات المجتمع المدنى المعنية بشئون الطفولة ومن يرى المحافظ الاستعانة به. وتختص هذه اللجنة برسم السياسة العامة لحماية الطفولة فى المحافظة ومتابعة تنفيذ هذه السياسة.

وتشكل فى دائرة كل قسم مركز شرطة لجنة فرعية لحماية الطفولة يصدر بتشكيلها قرار من

اللجنة العامة، ويراعى فى التشكيل أن تضم عناصر أمنية واجتماعية ونفسية وطبية وتعليمية.

وتختص لجان حماية الطفولة الفرعية بمهمة رصد جميع حالات التعرض للخطر والتدخل الوقائى والعلاجى اللازم لجميع هذه الحالات ومتابعة ما يتخذ من إجراءات.

وينشأ بالمجلس القومى للطفولة والأمومة إدارة عامة لنجدة الطفل، تختص بتلقى الشكاوى من الأطفال والبالغين، ومعالجتها مما يحقق سرعة إنقاذ الطفل من كل عنف أو خطر أو إهمال، ولإدارة نجدة الطفل صلاحيات طلب التحقيق فيما يرد إليها من بلاغات ومتابعة نتائج التحقيقات وإرسال تقارير بما يتكشف لها إلى جهات الاختصاص.